

## تطوير منطقة الحسين بالقاهرة.. رسالة حضارية وسياسية ودينية

الربط بين الأزهر والحسين خطوة رئيسية لإيقاف هيمنة السلفيين على المساجد التاريخية



معلم ديني يعلو على الانتماءات الطائفية والتوظيف السياسي

ويتأثرون بالخطاب الديني، والرد على الاتهامات التي يروجها معارضو النظام الإسلاميين وتصويره على أنه نظام ضد الإسلام.

ويلقى تطوير منطقة الحسين تأييدا واسعا بين رواده الذين يفدون خصوصا إليه من مسافات تتجاوز أحيانا 500 كيلومتر في الاحتفالات بمولده أو الصلاة في رحابه والدعاء بجوار ضريحه في رحلة تحمل أهدافا ترتبط غالبا بالتطهر الديني أو الوفاء بذنور.

وتقطع أم سماح (60 عاما) نحو 40 كيلومترا أسبوعيا من منطقة المنيب جنوب القاهرة إلى الساحة الحسينية ضمن رحلة عائلية تخضع لإعداد مسبق، بتجهيز مأكولات بسيطة لتوزيعها على الفقراء، وتحضير ما يلزم لقضاء يوم في الساحة.

وتقول لـ"العرب": "كلما جئت إلى هنا تخلصت من أعبائي مهما ثقلت، فعلى عتبة ابن حفيد النبي تتخفف روحي وتطير".

المكانة التي يحظى بها مسجد الإمام الحسين كملجأ ليست حكرا على السيدة ذات الأصول الصوفية المنتمية إلى الطريقة "البغوية"، وهي إحدى الطرق الرسمية ضمن 70 طريقة أخرى مقننة في مصر، فتمجيد آل البيت والإقبال على مساجدهم عادة أساسية لدى قطاع كبير من المصريين.

والشيعية" بمراعاة حرمة المسجد وعدم التسبب في أي تجاوزات قد تضر به وبمكانته.

وقال هندي "إننا في أمس الحاجة إلى فهم مقاصد الأديان السماوية، فهي مصدر سعادة لا شقاء، وحيث يكون البناء والتعمير وصنع الحضارة، وصالح العباد والبلاد، تكون مقاصد الأديان وفهمها الصحيح الدقيق".

يمثل قرار تطوير مسجد الحسين غصنة في حلق بعض التيارات السلفية مع وجود أحاديث مستمرة عن استجابة حكومية لاقتراح قدمه أمين سر اللجنة الدينية بالبرلمان المصري عمرو حمروش بخلق المواقع السلفية والمنتشدة خلال الانتعاش القادم للمجلس في شهر أكتوبر المقبل لاعتبارات تتعلق بكونها مرجعية للضالعين في العمليات الإرهابية.

ويرى سعيد صادق أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأمريكية في القاهرة، في توجه الحكومة لتطوير مسجد الحسين وطريقتهما في التعامل مع الجماعات الدينية أنه يأتي في إطار "التحالفات التكتيكية، ويرتبط بحسابات سياسية داخلية وإقليمية".

وأشار لـ"العرب" إلى أن الحكومة ستجني العديد من المكاسب من قرارها تطوير مسجد الحسين، منها تحقيق شعبية بين المواطنين ممن يمثل عندهم المسجد مكانة خاصة،

تشهد قراءة الأناكر الصوفية ونحر الذبايح عند مساجد ال البيت، وإقامة حلقات يحبها كبار المنشدين، وإقامة مقاه شعبية لتقديم المشروبات والطعام المجاني للوافدين، لكن بعد التطوير من المقرر أن يتم نقلها لشوارع جانبية بجوار المسجد الحسيني وليس امامه كالمعتاد.

## سيطرة على المزارات

أكدت وزارة الأوقاف عدم السماح بأي مخالفات خلال ذكرى عاشوراء التي تحل بعد أيام، والحديث موجه بالأساس إلى الخلايا الشيعية الكامنة التي تحيي اليوم بشعائر خاصة، حزنا على استشهاد الإمام الحسين، ونجحت من قبل في اختراقه بإقامة كرنياوية محدودة فجر عاشوراء قبل سنوات، ما أدى إلى غلق الضريح كل عام منذ 2013، بالتزامن مع الذكرى.

وأوضح رئيس القطاع الديني في وزارة الأوقاف الدكتور جابر طابع، أن الصلوات ستقام في مسجد الحسين بشكل طبيعي، ولن نسبح بالخروج على النص أو ارتكاب مخالفة أثناء الاحتفال بذكرى عاشوراء.

وكان عبدالغني هندي، عضو مجلس إدارة مسجد الحسين، أكثر وضوحا حينما أدلى بتصريحات صحافية، طالب فيها من أسموهم بـ"الإخوة السلفيين

سبتمبر الجاري، وكان يفترض تحركه من مسجد سيدي صالح في منطقة الدراسة إلى المشهد الحسيني، أصاب قرار منع الموكب الطرق الصوفية ومريديها بإحباط واضح، واعتبره البعض تراجعا في ثقة الدولة بالصوفية وقدرتها على مواجهة التيارات المتطرفة أو تغيير خطابها ليحظى بقبول لدى الشباب، مع تبرير الأمر بدواع أمنية، فالموكب سبق تنظيمه في أوضاع سياسية شهدت اضطرابات عنيفة.

هدمت محافظة الإسكندرية أخيرا، مسجد الولي أبوالإخلاص الزرقاني لوقوفه عائقا أمام مشروع محور المحمودية، ونقلت رفاته إلى مكان خاص بجانب مسجد أبو العباس الرسي، ولم تبال المحافظة بالغضب الذي أصاب بعض الطرق الصوفية التي طالبت أن يكون التغيير في تصميم المشروع وليس بنقل الضريح.

علمت "العرب" أن قوات الأمن باتت تشترط على صاحب السرايق في احتفالات الموالد هوية تثبت انتماءه إلى الطرق الصوفية صادرة عن المشيخة العامة (أعلى مؤسسة صوفية)، فضلا عن مطالبته بالإبلاغ عن أي شعائر غريبة أو محاولات لنشر التشيع خلال الاحتفالات.

يسمح الأمن المصري خلال الاحتفال بموالد الصالحين بإقامة الخيام التي

تتبنى الحكومة المصرية خطة لتطوير منطقة مسجد الإمام الحسين بالقاهرة، تتضمن رسائل بانتهاء عصر استئثار تيارات دينية بعينها بالمساجد التاريخية، وإعادة تقديمها كمزارات سياحية ودينية تفتح أذرعها لجميع الزائرين محليا وخارجيا، بشرط ابتعادهم عن السياسة وعدم ممارسات طقوس دينية غريبة.

رحاب عليوة  
كاتبة مصرية



وزخرفية، وأنظمة إضاءة جديدة خارجية وداخلية ووسائل لمكافحة الحرائق، وتعزيزها بأنظمة أمنية حديثة للمراقبة ورصد المخالفات.

ويستهدف تحية المشهد الحسيني في القاهرة عن الصراعات المذهبية، ويسعى المشروع إلى جعله مزارا دينيا وثقافيا وسياحيا له مذاق خاص يواكب موقعه الهام في قلب القاهرة الفاطمية ومجاورته لشوارع بيع المنتجات التراثية التي خلقت إيمانا لدى سكان المنطقة بتقبل ثقافة الاختلاف.

يظل مسجد الحسين، المكان المفضل لاحتفالات الطرق الصوفية، البالغ عددها قرابة 80 طريقة، سواء في العام الجديد أو في ذكرى استقرار رأس الإمام الحسين الذي يتفرد المصريون بإحيائها دون غيرهم من الشعوب، ويتصيون خلالها خياما لخدمة الزوار وتقديم وجبات الطعام والشراب.

يشهد مسجد الحسين استنفارا أمنيا دائما من خلال دوريات متحركة في الاحتفالات الدينية وأيام العطلات في ظل تحريم بعض التيارات السلفية الاحتفالات الصوفية واعتبارها بدعة. وأحاطت وزارة الداخلية الشوارع المؤدية إليه ببوابات إلكترونية من جميع الجهات للكشف عن المتفجرات وإخضاع المارين للتدقيق.

وفي هذا السياق يقول سماح الزهار، خبير الآثار الإسلامية، لـ"العرب": "إن الكثير من الوفود تأتي خصيصا لزيارة مسجد الحسين، سواء كانت من السنة أو الشيعة، وتحول إلى مزار ديني ومركز للقيادة الروحية يأتي لها مريدون من الداخل والخارج.

تزيد الوفود الصوفية خلال الاحتفال بقدم رأس الحسين إلى مصر في ديسمبر كل عام، وتأتي من دول إسلامية مثل ماليزيا وإندونيسيا وباكستان والشيستان بروسيا، ما يعتبره المجلس الصوفي الأعلى دليلا على أن منهجه الوسطي قادر على الانتشار عالميا كاحد حوائط الصد إزاء قوى التطرف والإرهاب.

ويرى مراقبون أن الاهتمام بتطوير مسجد الحسين محاولة لإخراجه من الصورة المرتبطة بـ"الصراع" بين أتباع الصوفية والشيعة والسلفيين، وبناء صورة ذهنية جديدة له كمعلم سياحي يعكس استناب الأمن دخل الدولة وقدرتها على بسط سلطتها ومواجهة محاولات الاستقطاب.

وتعزز سياقات أخرى مساعي الدولة لتقديم نفسها كمتحكم أول في إدارة المزارات الدينية، فتطوير مسجد الحسين تزامن مع قرارات تحمل العديد من الرسائل أولها إلغاء موكب صوفي للاحتفال برأس السنة الهجرية في أول

القاهرة - يحمل تطوير مسجد الإمام الحسين بن علي في منطقة الجمالية وسط القاهرة، رسائل تتعدى ربطه بمشروعات إعادة تأهيل المناطق التاريخية في العاصمة المصرية، أو تعزيز التواجد الأمني في منطقة تتسم بكثافة الزيارات السياحية، لتتمركز حول استعادة رونق المنطقة كإحدى أهم المعالم الإسلامية.

خطط التطوير الموضوعية التي تتولى تنفيذها الهيئة الهندسية التابعة للجيش المصري، تؤكد رغبة حكومية في نيل شرف تحمل التكلفة المالية الكاملة لتطوير مسجد يقصده الآلاف بصورة أسبوعية للتبرك بالصلاة في رحابه، في سلوك غير معتاد بعد رفض هدايا مالية من بعض رجال الأعمال للمشاركة في المشروع.

تستهدف الحكومة إعادة تقديم المنطقة كمركز للإسلام الوسطي بخلق رابطة بصرية بين الجامع الأزهر ومسجد الحسين القريبين، عبر إزالة البنايات التي تتوسطهما وتحجب رؤية كل منهما للآخر، من بينها مبنى قديم لمشيخة الأزهر سيتم تحويله إلى ساحة مفتوحة مشتركة، ليصبح مسجد الحسين قادرا على استيعاب قرابة 7500 مصل من الرجال والنساء.

## الحكومة تهدف إلى إعادة تقديم المنطقة كمركز للإسلام الوسطي بخلق رابطة بصرية بين الجامع الأزهر ومسجد الحسين

وأكد مصطفى مديولي رئيس الحكومة في تصريحات أعقبت الاجتماع الذي عقده لبحث خطط التطوير، أن التحرك جاء بتكليفات رئاسية تنتهي بخلق تلائم بين شكل المسجد النهائي ومكانته الدينية والتاريخية والأثرية والمنطقة المحيطة به، بما يتماشى مع هدف إعادة القاهرة لمكانتها.

## اهتمام بالشكل والمضمون

يسعى التطوير إلى تكرار نموذج الخدمات المتبع في المسجد النبوي الشريف في المدينة، بإضافة ساحات إضافية وتغطيتها بالكامل بمظلات، وتخصيص إدارات للتنظيم والنظافة، مع إضافة عناصر معمارية داخلية

عمر علي البديوي  
كاتب سعودي



لا يزال طيف الإسلام السياسي رهينا إلى لحظته التأسيسية الأولى، بالأحرى إلى هشاشتها وضعف جدواها. اللحظة التي رأى فيها النور وأنبعث من رقاد آخر إمبراطوريات الخلافة بوصفها شكلا للحكم في الخيال الإسلامي، رغم أن آخر السلاطين العثمانيين، عبدالحميد الثاني، كان قد استدعاها من بطن الإهمال وابتعثها من جديد ليستثمر في طاقتها المعنوية لحماية سلطانه المتداعي وبث الروح في أطراف إمبراطوريته الأبله إلى الزوال، بعد أن نحيت الخلافة كعنوان أخلاقي وشكل سياسي في خلال حكم العثمانيين، وتحولت في أواخرها إلى عملية "تزيك" عانى على إثرها العرب وسواهم من اتباع السلطان ورعاياه.

وعلى كل، شكل سقوط الخلافة فجوة هائلة ولما قاسيا في نفوس المسلمين،

## هشاشة اللحظة التأسيسية للإسلام السياسي.. عجز إنتاج الأفكار وتجديدها

الإسلاميين، وهو يجز البلاد إلى إعادة الروح إلى أحلام الخلافة البائدة، ويمد في عمر الأوهام المقوضة منذ رحيل آخر سلاطين الإمبراطورية العثمانية بجر خيبة استجداء هذا المعنى لإسعاد سلطانه وهو في نزعة الأخير.

لقد تفجرت أشكال من العنف باسم الخلافة، كان أكثرها جهرا بسلوكة وأفكاره، تنظيماً داعش، الذي أعجزته إكراهات الواقع، فنصب راية الخلافة المشؤومة والمزعومة على جراح بلدين عربيين، كانا في لحظة من التاريخ عاصمتين للخلافة الإسلامية.

استدعى التنظيم كل مفرداته ومفاهيمه من تلك اللحظة البائدة، تماما على نحو ما ورد في تاريخ عريض من أدبيات الإسلاميين التي بذلت الكثير من الحبر والفكر لتقويم هياكل الخلافة دون مراعاة أو مبالاة بشروط العصر وظروفه الموضوعية، وكانت نتيجة هذا المزج الهستيري تحتم الوقوع في مزالق العنف والظفر الذي استقرت فيه الأمة، ولا يبدو أنها ستشفى قريبا من إنهاك العنف ولا تخرج من نفقه الطويل والمظلم.

للجماعات الإسلامية، وكانت لحظة مؤسسة ودافعة لظهورها إلى السطح، وهي تلقى كل الترحيب والتأييد من مجتمعات أعيانها الحيرة، وخذلتها المشاريع والأيديولوجيات الشرقية والغربية من دون جدوى.

وبعد مضي كل هذا الوقت منذ اللحظة التأسيسية لدعوة الإسلام السياسي، لا يبدو شيء من تلك الأحلام العريضة ولا الوعود الطوباوية قد وجد طريقه إلى التفعيل والنجاح والتحقق، فيما أربقت الكثير من الدماء وأزحق الكثير من الحبر لتوسيع نفوذ الإسلام السياسي بكل تنوعاته وأطرافه، من السلفية التنظيرية والتنظيمات الحركية والأحزاب المؤدلجة ابتداء، وحتى الميليشيات المقاتلة التي أختفت في عدد من الخرائط العربية التي اكتشفت لها حدودها وعانت في ترابها الفساد والإفساد.

ولعل تجربة العدالة والتنمية في تركيا بقيادة زعيمها الأوحدهم رجب طيب أردوغان توضح بوضوح إلى العنت الذي يمكن أن تبلغه بلاد تفتح أبوابها لنفوذ

لكن تلك الأمل ارتدت على عقبها، وأنتجت ظروفا عاصفة ومواتية لتنتج "الحل الإسلامي" الذي انشغل خلال كل تلك الفترة الماضية بالتأسيس لأيديولوجيته بين القواعد الشعبية، وما إن حلت نسخة 1967 حتى التفتي "التدوير الخارجي" مع "التفسير الأيديولوجي"

السياسة بالمنطقة، وتعاظم التنازم عقب حرب عام 1967 عندما ارتفعت الأمل بإصلاح حال العرب بمجرد فك الاحتلال عن الأراضي الفلسطينية وكسر شوكة القوى الدولية التي تمتطي المشروع الإسرائيلي لإعاقة تنمية ورفاه وتقديم الوطن العربي.



قطيعة مع تغيرات التاريخ